سلسلة أحاديث في الدعوة والتوحيد ٩

حديث



دراسة حديثية دعوية نفسية

إعداد

د/ فالح بن محمد بن فالح الصغير

الأستاذ بجامعة الإمام محمد سعود الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أمر عباده بالمسارعة على الخيرات، وأعد لهم على ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، وأصلي وأسلم على النبي المختار، وعلى آله وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد:

فمن فضل الله تعالى على العباد أنه أمرهم بما يرضى به عنهم ويرفع درجاتهم، ويحط خطاياهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وينجيهم من النار، ومن هذه الأوامر **المسارعة إلى الخيرات**، فقال عزوجل: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: 132-134].

ومن هنا اهتم السلف الصالح رحمهم الله تعالى بالمسارعة في جميع أنواع الأعمال الخيرة من الإيمان الصادق، والعمل الصالح من صلاة وزكاة وصدقة وجميع أشكال البر والمعروف والإحسان إلى الخلق، فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ

﴿٩٠﴾ [الأنبياء:90]. وقد أمرنا الله سبحانه باقتداء هؤلاء السلف الصالح رحمهم الله فقال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام:90] وقال سبحانه: (واتبع سبيل من أناب إلي) [لقمان:15]. وإذا كان البشر بمختلف وظائفهم وأعمالهم يتسابقون ويتنافسون في ميادين كثيرة كلها تنصب في أمور الدنيا فمن الأولى أن ينافس المسلم فيما هو أعلا وأجل، وذلك بما أمره الله تعالى ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين:26]، وهذه الورقات هي في تجلية هذا الأمر وبيانه، من منطلق قوله صلى الله عليه وسلم: "بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة". علها أن تكون مفتاحًا للقارئ الكريم في معاونته للدخول في هذه المنافسة الشريفة، فيحصل على الدرجات المنيفة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يتاسبق إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، حقق الله الآمال، وسدد الخطى، إنه سميع الدعاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغير

ص.ب 41961 الرياض- 11531

البريد الإلكتروني: falehmalsgair@yahoo.com

نص الحديث وتخريجه

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل - يعنون ابن جعفر -، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة". [صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (2947)].

وفي لفظ عند مسلم: "بادروا بالأعمال ستا الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم".

وأخرجه أحمد في باقي مسند المكثرين (8104، 8241، 8632، 9025، 10262).

وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض، والدجال، وخويصة أحدكم، وأمر العامة". [كتاب الفتن، باب الآيات (4056)]

وقفة مع كلمات الحديث

بادروا: أسرعوا، واعجلوا واستبقوا، معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من علامات الساعة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "بادروا الصبح بالوتر" أي: أسرعوا بأداء الوتر قبل الصبح.

وقال السندي في شرح ابن ماجه: بادروا بالأعمال ستًّا:أي اعملوا الصالحات واشتغلوا بها قبل مجيء هذه الست التي هي تشغلكم عنها، وفي النهاية: ومعنى مبادرتها بالأعمال الانكماش [الإسراع] في الأعمال الصالحة، والاهتمام بها قبل وقوعها، و في تأنيث الست إشارة إلى أنها مصائب ودواه[1].

طلوع الشمس من مغربها: وهو من علامات الساعة الكبرى، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين(لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) وفي لفظ مسلم "ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا): طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض" [2]. وفي رواية لمسلم عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا"[3]. وفي صحيح مسلم أيضًا

(1) حواشي سنن ابن ماجه 442/3.

(2) رواه البخاري في التفسير، باب: لا ينفع نفسًا إيمانها (4635) ومسلم في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (158).

(1) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض.. (2941).

عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: "أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)" [1].

الدخان: معروف، وهو من أشراط الساعة، واختلف فيه هل إنه قد مضى، أم أنه من أشراط الساعة ويحدث قرب الساعة، فعن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعود وكان متكئا، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وإن قريشا أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف" فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال، يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا، فادع الله، فقرأ: (فارتقب يوم تأتي السماء

(2) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (159).

بدخان مبين) إلى قوله (عائدون) أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى: (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم بدر، و (لزاما) يوم بدر (الم غلبت الروم) إلى (سيغلبون) والروم قد مضى [1].

قال العيني: فيه خلاف فإنه روي عن ابن عباس وابن عمر وزيد بن علي والحسن أنه دخان يجيء قبل قيام الساعة، قال الحافظ بن حجر: وهذا الذي أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي، فأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن علي قال: آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفد. وقال: ويؤيد كون آيةالدخان لم تمض ما أخرجه مسلم من حديث أبي شريحة رفعه: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا, وَالدُّخَانَ, وَالدَّابَّةَ.. [2]" الْحَدِيث[3]. وقال النووي في شرح هذا الحديث: هذا الحديث يؤيد قول من قال: إن الدخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريبًا من قيام الساعة[4]. وذكر ابن حجر أحاديث تؤيد هذا القول منها: عن حذيفة قال: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية قال" أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكْمَةِ, وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَخْرُجُ مِنْ مَنْخَرَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَدُبُرِهِ" وذكر أحاديث، وقال: تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً[5].

---

(1) رواه البخاري في التفسير، سورة الروم (4774) ومسلم في صفة القيامة و الجنة والنار، باب الدخان (2798).
(2) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (2901).
(3) فتح الباري 728/8.
(4) شرح النووي لصحيح مسلم 235/18.
(5) فتح الباري 728/8.

وقال العيني في العمدة: وقال ابن دحية: الذي يقتضيه النظر الصحيح حمل أمر الدخان على قضيتين: إحداهما وقعت وكانت، والأخرى ستقع بقرب القيامة.

الدجال: خروجه علامة لقرب الساعة، وورد في وصفه عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه، فيشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب"[1].

ومما ورد عن الدجال في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: "ما شأنكم؟" قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: "غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا" قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يوما؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه، كأيامكم" قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا اقدروا له قدره" قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر،

---

(1) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (2934).

والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتي،ن واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله..."[1].

الدابة: هي المذكورة في قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الْأَرْضِ) [النمل: 82] قَالَ ابن كثير في تفسيره: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان، عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض، قيل: من مكة، وقيل من غيرها، فتكلم الناس على ذلك[2]، وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تخرج الدابة، معها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول: هاها يا مؤمن، ويقال: هاها يا كافر، ويقول: هذا يا مؤمن، ويقول: هذا يا

(1) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (2937).

(2) تفسير ابن كثير 210/6.

كافر"[1]. وذكر النووي عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أنها هي الجساسة المذكورة في حديث الدجال[2].

وذكر ابن كثير عن ابن جريج عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيّل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا..[3].

خاصة أحدكم: الموت، وفي رواية: خويصة أحدكم، وهو تصغير خاصة، وصغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب وغير ذلك[4].

أمر العامة: القيامة، وقال السندي: أي قبل أن يتوجه إليكم أمر العامة والرياسة فيشغلكم عن صالح الأعمال[5].

---

(1) رواه الترمذي في تفسير القرآن، سورة النمل (3187).

(2) شرح النووي لصحيح مسلم 235/18.

(3) تفسير ابن كثير 214/6.

(4) حواشي سنن ابن ماجه 442/3.

(5) المرجع السابق.

المنافسة سنة بشرية

لقد جبل الله تعالى الإنسان على حب التنافس مع الآخرين، كل بحسب اهتماماته وميوله، فالمنافسة بين الرياضيين على قدم وساق، تضرب لها وفيها أكباد الإبل، وتصرف فيها الأموال، والمنافسة بين الصناع والمزارعين وأصحاب الحرف قائمة بقوة، والمنافسة والتسابق في صنع الأسلحة وتطويرها على قدم وساق من الدول والشركات، والمنافسة بين التجار على أشد ما يعرف الزمان، والمنافسة بين الزراع موجودة، وأرباح هذه الأعمال كلها تقتصر على منافع الدنيا فحسب، فما بال أهل الإيمان والتقوى! أليس لهم ميدان يتنافسون فيه؟ أم هناك تقصير وتفريط؟ وما أسباب ذلك؟ وما الحوافز على المسارعة إلى الخيرات؟ ولماذا رتّب الله عزوجل على ذلك من الأجر والثواب في والآخرة؟ وما بركاتها في هذه الدنيا؟ كل هذا سنتحدث عنه فيما يلي من الصفحات.

وعندما نؤكد على هذه المنافسة ونحث على السعي فيها ونجلي آثارها، لا يعني أن المنافسات فيما ذكر ممنوعة ومحظورة، بل هي قابلة لهذا وذاك، فإذا سخرت لخدمة الإنسان ولم يقارف فيها محظور شرعي فتبقى في دائرة المباح، وإذا استخدمت في الخير كانت خيرًا وفلاحًا في الدنيا والآخرة.

*** *** ***

فضل المسارعة إلى الخيرات والحث عليها

إن الناس في الإقبال على الله تعالى والإقدام على الإيمان والعمل الصالح ثلاثة أنواع: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، ولا شك أن أفضلهم السابق بالخيرات، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: 32].

والمسارعة إلى الخيرات شيء زائد على فعل الخيرات، وقد ذكر ابن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ ﴾ [البقرة:148] قال: "والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة.

والخيرات تشمل الفرائض والمستحبات بل كل معروف، سواء كان نفعه قاصرا على نفسه أم متعديًا إلى غيره، قال ابن السعدي رحمه الله: والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد، ونفع متعد وقاصر، وقال: ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل،

كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام والحج والعمرة وإخراج الزكاة والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية!!" [(1)].

وقد حث الله تعالى في كتابه على المسارعة إلى الخيرات وعدم التكاسل في امتثال أوامر الله ورسوله وأداء حقوق الله وحقوق العباد.

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾ [آل عمران: 132-134].

وقال تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) [الحديد: 21].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾ [المطففين: 22-26].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧

(1) تفسير ابن سعدي، سورة البقرة، الآية: 148.

وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الصافات :40-48) . إلى أن قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الصافات: 60-61) .

وقال سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (البقرة: 148) .

وقال ابن سعدي في تفسير آية الحديد: وهي قوله تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) [الحديد: 21] "ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة من التوبة النصوح والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق والإحسان على الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك فقال: (وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله)، والإيمان بالله ورسله يدخل فيه أصول الدين وفروعه".

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على المسارعة إلى الأعمال الصالحة، وحذّر من تسويل الشيطان لابن آدم بأنه سيقوم بهذه الأعمال عندما يصل إلى سن الأربعين .. إلى أن يصير شيخًا .. قال صلى الله عليه وسلم : "اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"(1).

(1) رواه الحاكم في المستدرك 341/4.

وقال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"(1).

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا"(2).

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال ستا: الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم"(3).

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر"(4).

وعن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا"(5).

وقال ابن رجب رحمه الله في شرح حديث "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" : فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به، والاهتمام ان يبحث عما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم يجتهد في

(1) رواه البخاري في الرقاق، باب الصحة والفراغ، ولا عيش إلا عيش الآخرة (6412).

(2) رواه مسلم في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (118).

(3) رواه مسلم في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال (2947).

(4) رواه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل (2306).

(5) رواه ابن ماجه في الصلاة، باب في فرض الجمعة (1081).

فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهى عنه، فتكون همته مصروفة بالكلية على ذلك لا إلى غيره[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي: الهوى وطول الأمل، فأما الهوى فيضل عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة"[2].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: التؤدة في كل شيء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة[3].

وعن أبي زكريا التيمي قال: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أتي بحجر منقوش، فطلب من يقرأه، فإذا فيه: ابن آدم! لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد والنسب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة[4].

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة أن تبتلى بالتنافس في الأموال وخيرات الدنيا فقال: "أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا" قالوا: وما

---

(1) جامع العلوم والحكم ص 171.
(2) أخرجه البيهقي في الشعب 10616، والراجح وقفه على علي رضي الله عنه.
(3) مختصر منهاج القاصدين ص 415.
(4) مختصر منهاج القاصدين ص 413.

زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: "بركات الأرض" قالوا: يا رسول الله وهل يأتي الخير بالشر؟ قال: "لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير، إن كل ما أنبت الربيع يقتل أو يلم إلا آكلة الخضر، فإنها تأكل حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس ثم اجترت وبالت وثلطت ثم عادت فأكلت، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع"[1].

فعلى المسلم أن ينافس في أمور الآخرة وفيما يقربه إلى الله، ولا يجره التنافس في أمور الدنيا إلى عدم التمييز بين الحلال والحرام.

*** *** ***

مجالات المسارعة إلى الخيرات

(1) رواه مسلم في الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (1052).

ومن أهم ما يسارع إليه العبد من الخيرات هو الإيمان بالله وتجديد العهد به سبحانه، وقد أمر الله بذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء:136] وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: 102] وبذلك وصى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أبناءهما، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:].

قال ابن سعدي في تفسير سورة النساء الآية (136) : اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمرا له في الدخول فيه، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان كقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ [النساء:٤٧] وإما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم من الإخلاص والصدق وتجنب المفسدات والتوبة من جميع الذنوب، ويقتضي أيضًا الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله؛ فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإن ذلك من المأمور به، وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة وأجمع عليه سلف

الأمة، ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات..

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يجددون إيمانهم بتجديد العهد مع الله وتذكير آلائه ونعمه، وفي صحيح البخاري: وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة[1]. قال ابن العربي: أراد تجديد الإيمان، لأن العبد يؤمن في أول مرة فرضًا ثم يجدد إيمانه كلما نظر أو فكّر.

ومن المسارعة إلى الخيرات أن يؤدي العبد ما افترض عليه من الفرائض في أول فرصة وأن يحافظ على ذلك محافظة تامة، فأفضل ما تقرب به العبد إلى ربه أداء ما افترض الله عليه، فقد جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"[2]. فلا يؤخر أعماله المفروضة حتى ينشغل أو يمرض أو يكبر سنه فلا يستطيع أداءه كما ينبغي فيتحسر على ما فرط في جنب الله، ومن ذلك فريضة الحج، فمن الناس من يؤخره عاما بعد عام حتى يكبر سنه ويهرم فيندم على عدم القيام به بنفسه فيستأجر رجلا ليحج عنه، أو يموت ولم يحج فتلك حسرة أبدية، ومن ذلك أيضًا قضاء صيام رمضان إن كان عليه في أول فرصة يجدها، وصيام

(1) ذكره البخاري في الإيمان، باب (1) قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس".

(2) رواه البخاري في الرقاق، باب التواضع (6502).

النذر، وقضاء الصلاة التي فاتته، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نسي صلاة فليصل إذا ذكر لا كفارة لها إلا ذلك ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤][1]

ومن المسارعة إلى الخيرات الإنفاق في سبيل الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾ [المنافقون:10، 11].

وعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إلى آخر الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾ والآية التي في الحشر ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت

(1) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر، ولا يعيد إلا تلك الصلاة (597).

كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"(1).

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على المنافسة في الإنفاق وفي تلاوة كتاب الله الكريم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا حسد إلا على اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار"(2).

*** *** ***

والصحابة الفضلاء كانوا حريصين ومسارعين إلى جميع أنواع الخيرات، وظهر ذلك جليا في الصدقات، ففي السنن الكبرى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن شهد منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا"(3).

---

(1) رواه مسلم في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار (1017).

(2) رواه مسلم في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن (5025) ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعمله، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (815)س.

(3) رواه النسائي في السنن الكبرى 36/5س.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم: من شهد منكم اليوم جنازة؟ قال عمر: أنا، قال: من عاد منكم مريضا؟ قال عمر: أنا، قال: من تصدق؟ قال عمر: أنا، قال: من أصبح صائما؟ قال عمر: أنا، قال: وجبت وجبت"[1].

وهذا كان ديدن جميع الصحابة التنافس في أعمال الخير والصدقات، حتى الفقراء يحزنون على قلة أموالهم ليس لصرفها في شهوات الدنيا بل للإنفاق في سبيل الله، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال: "ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله؟؛ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين"[2].

وفي رواية عن أبي ذر أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده 118/3.

(2) رواه البخاري في الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (834) ومسلم في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (595).

صدقة" قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا"[1].

يقول ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم: وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة وقوة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد؛ لعدم القدرة على آلته، وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه، فقال: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة:92] [2].

وفي حديث آخر لابن حبان في صحيحه عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس" قيل: يا رسول الله ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: "إن أبواب الخير لكثيرة؛ التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتدل المستدل على

---

(1) رواه مسلم في الزكاة، باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (1006).

(2) جامع العلوم والحكم لابن رجب 42/2.

حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك"[1].

ومن المسارعة إلى الخيرات الحرص على النوافل في الصلاة والصدقة والصيام والعمرة والحج وما يستطاع من الأعمال الصالحة، وهذه النوافل تنفع صاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجل للملائكة - وهو أعلم -: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك"[2]. وهي كذلك من أهم ما يحصل به العبد محبة الله ورضوانه، قال تعالى: ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق:19] أي: اسجد لربك واقترب منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه. وفي الحديث القدسي الصحيح: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"[3].

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه 171/8.

(2) رواه الحاكم في المستدرك 394/1.

(3) سبق تخريجه.

وفي صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة؟ أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله. فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة". قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان. وفي رواية أخرى لمسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود[1][2].

ومن المسارعة إلى الخيرات التسابق في الحضور إلى المساجد مبكرا، والحرص على التكبيرة الأولى والصف الأول، روى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – وذكر منهم - وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد"[3]. وروى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم الناس ما

---

(1) رواه مسلم في الصلاةن باب فضل السجود والحث عليه (488، 489).

(2) ونوافل الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة كثيرة ولله الحمد؛ كالسنن الراتبة والوتر وصلاة الضحى وقيام الليل والتراويح وصيام الست من شوال والعاشر من محرم ويوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر ونوافل الصدقات أكثر من أن تحصر، والحج والعمرة سوى الفريضة، كلها نوافل، وكل هذه النوافل وردت فيها نصوص عظيمة، ولولا الإطالة لذكرت كثيًرا منها، فليرجع لها في مظانها مثل كتاب رياض الصالحين، والترغيب والترهيب، وغيرها.

(3) رواه البخاري في الزكاة، باب الصدقة باليمين (1423).

في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا"(1).

ومن أعظم مجالات المسارعة إلى الخيرات المسارعة إلى طلب العلم والتبكير فيه، فإن السلف لم يكونوا يؤخرون تعليم أولادهم، بل كان أحدهم يلقن ولده كلمة التوحيد بمجرد أن يبدأ الطفل النطق، ثم يعلمه الصلاة والأذكار الخفيفة ويبدأ يحفظه القرآن الكريم، وهذا يشير إلى أهمية التبكير في تحصيل العلوم النافعة، وليكن الهدف وراء تحصيل العلوم مرضات الله سبحانه ورفع الجهل عن نفسه وأسرته، ثم تعليم المسلمين ما يجهلونه من أمور دينهم ودنياهم، ففي المستدرك للحاكم عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم! ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل

---

(1) رواه البخاري في الأذان، باب الاستهام في الأذان (615) ومسلم في الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام (437).

الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني[1].

قال ابن مفلح نقلاً عن ابن الجوزي: وقال أيضًا في كتاب "السر المصون": من علم أن الدنيا دار سباق وتحصيل للفضائل، وأنه كلما علت مرتبته في علم وعمل زادت المرتبة في دار الجزاء، انتهب الزمان ولم يضيع لحظة ولم يترك فضيلة تمكنه إلا تحصلها.

ومن وُفّق لهذا فليبتكر زمانه بالعلم، وليصابر كل محنة وفقر إلى أن يحصل له ما يريد، وليكن مخلصًا في طلب العلم عاملاً به حافظًا له، فأما أن يفوته الإخلاص فذاك تضييع الزمان وخسران الجزاء، وأما أن يفوته العمل به فذاك يقّوي الحجة عليه والعقاب له، وأما جمعه من غير حفظ، فإن العلم ما كان في الصدر لا في القمطر. ومتى اخلص في طلبه دلّه على الله عزوجل – إلى أن قال – وليبعد عن مخالطة الخلق مهما أمكن خصوصا العوام، وليصن نفسه من المشي في الأسواق فربما وقع البصر على فتنة، وليجتهد في مكان لا يسمع فيه أصوات الناس، وليزاحم القدماء من كبار العلماء والعباد منتهباً الزمان في كل ما هو أفضل من غيره[2].

ولماذا هذا السباق في طلب العلم؟

السباق في طلب العلم له ثمرات طيبة ونتائج جليلة نذكر منها:

(1) رواه الحاكم في المستدرك 188/1.

(2) الآداب الشرعية لابن مفلح 241/1.

- العلم الصحيح من ميراث النبوة، في الحديث عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"[(1)].
- وقال: "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة"[(2)].
- وقال: "وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم"[(3)].
- وقال: "وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء"[(4)].
- وقال: "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب"[(5)].
- ولأن صاحب العلم يعبد الله على بصيرة ويدعو إلى الله على بصيرة.
- ولأن العلم سبب لرفع درجات العبد في الدنيا والآخرة.
- ولأن العلم الصحيح يسبب خشية الله، قال تعالى:(**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**)[فاطر:28].
- وقبل كل شيء فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، ومن طلب العلم نجا عن العثرات والزلات وقد حصل على رضوان الله.

---

(1) جزء من حديث رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (219) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة)) الحديث والترمذي في العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2602) وأبو داود في العلم، باب الحث على طلب العلم (3275) وأحمد في مسند الأنصار (20723). ورواه البخاري تعليقًا في كتاب العلم، باب رقم (10).

(2) المرجع السابق .

(3) المرجع السابق .

(4) المرجع السابق .

(5) المرجع السابق .

ومن أعظم مجالات المسارعة إلى الخيرات المسارعة في الإحسان إلى الخلق: والإحسان كلمة تعني أعلا درجات التعامل مع الله سبحانه وتعالى ومع الخلق ولذلك ندب الله تعالى إليه بقوله: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) [البقرة: 195] وندب إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، فعن شداد بن أوس قال: اثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته"(1).

قال ابن سعدي رحمه الله: والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق والإحسان إلى المخلوق:

فالإحسان في عبادة الخالق فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(2).

وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم ووعظ غافلهم، والنصحية لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، ويدخل في ذلك بذل الندى واحتمال الأذى.. (3)

---

(1) رواه مسلم في الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة (1955).

(2) رواه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن: الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (50) ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه (8).

(3) تفسير ابن سعدي، سورة آل عمران، الآية: 134.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا في الإحسان إلى الخلق والقيام بخدمة الآخرين ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابنة لخباب قالت: خرج خباب في سرية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدنا حتى كان يحلب عنزا لنا، قالت: فكان يحلبها حتى يطفح أو يفيض، فلما رجع خباب حلبها فرجع حلابها إلى ما كان، فقلنا له: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلبها حتى يفيض - وقال مرة حتى تمتلئ - فلما حلبتها رجع حلابها[1].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث أمته على الإحسان إلى الخلق: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[2].

ولماذا الإحسان إلى الخلق كان بهذه المثابة؟

إن الإحسان إلى الخلق يعتبر من الأعمال التي يتعدى نفعها، وكل عمل يتعدى نفعه إلى الغير فهو من الإحسان إلى الخلق، وفضائله لا يمكن حصرها لأن كل نوع من الإحسان إلى الخلق له فضل خاص، ولكن نذكر فيما يلي على سبيل المثال:

- الإحسان إلى الخلق يجازى صاحبه بإحسان الله إليه، وهو فضل عظيم، كما سبق في حديث صحيح مسلم.
- الإحسان إلى الخلق من أحب الأعمال إلى الله تعالى، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أي

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده 372/6.

(2) رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر (2699).

الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة،أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عن جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام"[1].

- الإحسان إلى الخلق ينفع صاحبه ولو دخل النار ببعض معاصيه حيث يخرج منها بشفاعة من أحسن إليه، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الرجل من أهل الجنة ليشرف على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار، يا فلان أما تعرفني؟ قال: لا والله ما أعرفك، من أنت ويحك؟ قال: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك فاشفع لي بها عند ربك، قال: فدخل ذلك الرجل علىالله في زوره فقال: يا رب إني أشرفت على أهل النار فقام رجل من أهل النار فنادى: يا فلان أما تعرفني؟ فقلت: لا والله ما أعرفك، ومن أنت؟ قال: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني فسقيتك فاشفع لي بها عند ربك، يا رب فشفعني فيه، قال: فيشفعه الله فيه وأخرجه من النار"[2].

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير 453/12.

(2) رواه أبو يعلي في مسنده 210/6.

- الإحسان إلى الخلق لا يفيد صاحبه في الآخرة فحسب بل ينفعه في الدنيا كذلك، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول: أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا..." [(1)].
- الإحسان إلى الخلق يجلب الخير في الدنيا ويؤيَّد صاحبه من قبل ربه في أموره الدنيوية، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج [أي: مسيل الماء] قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته [أي: مسحاته]، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله! لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرّد فيها ثلثه"[(2)].

ومن أهم مجالات المسارعة إلى الخيرات المسارعة إلى نصرة دين الله، وهو واجب على كل مسلم حسب استطاعته، وقد مدح الله سبحانه من نصر دينه

---

(1) رواه البخاري في الزكاة، باب قول الله تعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى..) (1442) ومسلم في الزكاة، باب في المنفق والممسك (1010).

(2) رواه مسلم في الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين (2984) وللمزيد ينظر كتابنا (خير الناس أنفعهم للناس).

بماله ونفسه فقال: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 23].

ونصرة دين الله تعالى تكون بوسائل عدة، من أهمها: الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله تعالى، وإعانة المجاهدين وكفالة الدعاة وطلاب العلم ونشر الكتب النافعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم والتربية، وغيرها.

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ إلى آخر الآية[1].

كما أن الله سبحانه قد امتدح من سارع إلى نصرة دينه وإعلاء كلمته، وقد أثبت التاريخ فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه لسبق إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه

(1) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب قول الله عزوجل: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (2805).

وسلم، ثم فضل من آمن في مرحلة الدعوة السرية، ثم فضل من آمن قبل الفتح، فبعد أن حث الله المؤمنين على الإنفاق في سبيله لنصرة دينه وإعلاء كلمته بيّن فضل من آمن ونصر دينه بماله ونفسه قبل الفتح على من فعل ذلك بعد الفتح، فقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ ﴾ [الحديد: 10].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: أي لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وقال ابن سعدي رحمه الله: المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية حين جرى من الصلح بين الرسول وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي حصل فيها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجا، واعتز الإسلام عزا عظيما، وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها كالمدينة وتوابعها.

وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها من ديار المشركين يؤذى ويخاف، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وقاتل أعظم درجة وأجّرا وثوابً ا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق

إلا بعد ذلك كما هو مقتضى الحكمة، ولهذا كان السابقون وفضلاء الصحابة غالبهم أسلم قبل الفتح.

ومن نصرة دين الله الجهاد في سبيله بالنفس والمال، ولا يعدله ثواب إلا من واصل الصلاة والصيام دون انقطاع حتى يرجع المجاهد إلى بلده، ولا يستطيعه أحد، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات[1].

"والجهاد في سبيل الله دعاء للمعرضين عن الله إلى الرجوع إليه بالسيف والسنان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان، فالمحب لله يحب اجتلاب الخلق كلهم إلى بابه، فمن لم يجب الدعوة باللين والرفق احتاج إلى الدعوة بالشدة والعنف: "عجب ربك من قوم يُقادون إلى الجنة بالسلاسل"[2].[3]

"إن بعض المسلمين لم يحرم نفسه من فضل الجهاد فحسب بل حرم غيره منه بتخذيله وإرجافه، فإذا لم ترغب أخي المسلم أن تجاهد بنفسك فلا تحرم غيرك منه إذا رأيته عازمًا على جهاد أعداء الله بنفسه أو بماله، وإن كنت تخشى بارقة السيوف فلا يفُتْك على الأقل أن تجاهد بمالك وأن تدعو غيرك إلى هذا الأمر اليسير، فإن

(1) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (2785).

(2) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل (3010).

(3) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي 279/2.

الله جل وعلا قدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾ [الصف:9، 10] فإياك أن تكون من المخذلين عن الجهاد فتذيق الأمة ذلا يكون في عنقك يوم القيامة، فمن لم يجاهد بنفسه أو بماله فليقل خيرا أو ليصمت"[1].

ومن نصرة دين الله تعالى طلب العلم ونشره، وتعلمه وتعليمه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ويشار إليه هنا لمناسبته، بل إن كثيرا من أهل العلم فضل طلب العلم على الجهاد بالسيف؛ لأن طلب العلم جهاد، ولأن الجهاد لا يصح بدون علم،ولكل أجره وبابه، ويفضل هذا أو ذاك لمناسبته وزمنه ومكانه، وكلاهما من نصرة دين الله تعالى.

ومن المسارعة إلى الخيرات العبادة اللسانية، ومنها حفظ اللسان عن المحرمات واستعماله في الطاعات كقراءة القرآن والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل كلمة الحق والصلح بين الناس، ومن ذلك ذكر الله تعالى، وذكره يكون بالقول ويكون بالفعل. وقد ندب الله إليه في كتابه الكريم مرارا وحث عليه بذكر فضل الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم

(1) كيف تطيل عمرك الإنتاجي ص81.

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 41-43]

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:35] وقال: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:10].

وعن عبد الله بن بسر أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث به، قال: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل"[(1)].

وعن معاذ بن جبل قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: "أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله"[(2)].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: أي الجهاد أعظم أجرا؟ قال: "أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا" قال: فأي الصائمين أعظم أجرا؟ قال: "أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا" ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا" فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لعمر رضي الله تعالى عنه: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجل"[(3)].

---

(1) رواه الترمذي في الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر (3375) وابن ماجه في الأدب، باب فضل الذكر (3793).

(2) رواه ابن حبان في صحيحه 99/3.

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده 438/3.

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه، بل كان يستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة.

وللذكر أنواع:

1- قولي، مثل تلاوة كتاب الله، والثناء على الله والحمد له تبارك وتعالى، والدعاء والتضرع إليه.

وتقسيم آخر للذكر القولي: **ذكر مطلق**، يقال في كل مكان وزمان وحال، **وذكر مقيد** بوقت أو مكان أو حال، والذكر المقيد بوقت؛ مثل: الأذكار الصباحية والمسائية، والأذكار بعد الصلوات المفروضة، والذكر المقيد بمكان؛ مثل: الدعاء الذي يقال إذا نزل المسافر منزلا يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، والذكر المقيد بحال مثل ما يقال في حال الركوع والسجود والتشهد، وما يقال في حال الكربة والمرض أو حصول الرخاء والفرحة والزواج.

2- ذكر فعلي، وهو سائر الطاعات من صلاة وصيام وحج وعمرة...الخ

ومما يؤكد عليه للمسلمين عامة وللدعاة وطلاب العلم حملة الشريعة وأنصار التوحيد والملة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر خاصة أن يزودوا أنفسهم بهذا الزاد العظيم، الذي يمدهم بالقوة المعنوية والنفسية لدربهم الطويل المليء بالعقبات، فيذلّلها ويعبّدها، ويعينهم على تخطيها فيقربهم من مولاهم ويطمئن قلوبهم، ويقويهم على أعدائهم، ويسهل عليه مهمتهم، ألا ترى كيف ربط الله سبحانه بين الجهاد

والذكر فجعله عاملاً من عوامل النصر، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) [الأنفال: 45]، وألا ترى كيف أوجب الله سبحانه على رسوله قيام الليل وكله ذكر في أدق مراحل الدعوة وأصعبها (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) [المزمل:1-4] وفي المرحلة نفسها يقول: (يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر) بل جعله الله تعالى الغاية من العبادات كما في الصلاة (وأقم الصلاة لذكري) [طه:14] وقال في الصيام: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال بعد آية: (ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) [البقرة: 183-185]. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام في الحج: "إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله"[(1)]. وهكذا يعظم شأن الذكر ويكون مجالاً للمنافسة والمسابقة، ويكون زادًا عظيمًا في الطريق إلى الله.

ومن المسارعة إلى الخيرات التوبة فورًا إذا ارتكب الذنوب، فقد امتدح الله سبحانه من إذا وقعت منه المعصية سارع إلى التوبة إلى الله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوٓاْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ

(1) رواه أبو داود في المناسك، باب في الرمل (1888) والترمذي في الحج، باب كيف ترمى الجمار (902) والإمام أحمد في باقي مسند الأنصار (33830، 23947، 27557).

جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:136،135].

قال ابن سعدي رحمه الله: : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والاستغفار وذكروا ربهم وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلهذا قال: : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله عزوجل إلا غفر له"[1].

والتائب من المعصية إما أن تكون المعصية بينه وبين الله تعالى، فالتوبة منه الندم والاستغفار، ثم ينظر إلى مقادير ذنوبه فيطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسانات بمقدار تلك السيئات. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [هود: 114] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتبع السيئة الحسنة تمحها"[2] مثل من كانت معصيته سماع الأغاني فليكفر بالإكثار من تلاوة القرآن وسماعه.

(1) أخرجه أبو داود في الوتر، باب في الاستغفار (1521) والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة (406، 3006) وابن ماجه في إقامة الصلوات، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة (1395).
(2) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (1987).

وكذلك مظالم العباد عليه أن يكفرها بالإحسان إليهم، ويكفر تناول أعراضهم بالثناء عليهم، وكما عليه أن يؤدي حقوقهم ويستحلهم في المظالم المتعلقة بالأموال نحو الغصب والخيانة.

قال ابن قدامة المقدسي: الناس في التوبة أربع طبقات: الطبقة الأولى: تائب يستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك ما فّرط من أمره، ولا يحدّث نفسه بالعود إلى ذنوبه، إلا الزلات التي لا ينفك عنها البشر في العادات، فهذه هي الاستقامة في التوبة، وصاحبها هو السابق بالخيرات.

وليست التوبة والاستغفار حال وقوع الذنب فحسب، بل يندب إليها في كل وقت فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل البشر وأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يستغفر الله في كل يوم مائة مرة.

فإذا كان هو صلى الله عليه وسلم كذلك وهو قدوة العالمين فالمسلم الصادق هو الذي يقتدي به عليه الصلاة والسلام ولا يكف لسانه عن ذلك، فلا يدري هل وقعت منه معصية من حيث لا يشعر وبخصاة المعاصي القلبية كالعجب والغرور أو احتقار الآخرين أو ضعف الرجاء أو الخوف من الله ونحو ذلك، فيغفر له، أو لم يقع منه معصية ولكنه قصر في طاعة وعبادة، وهكذا، أو يكون زيادة في حسناته ومضاعفة درجاته، وسدًّا لمنافذ الشيطان عندما يغفلها العبد بالتوبة والإنابة.

ومن المسارعة إلى الخيرات أن يحرص المسلم على كل عمل يقربه إلى الله وإلى الجنة، ويبتعد عن كل عمل يسر الشيطان ويقربه إلى النار، وفي كتب الأحاديث والسير وقائع كثيرة تذكر ما كان عليه سلف هذه الأمة من الحرص على

كل عمل يقربهم إلى الله وإلى الجنة ويبعدهم عن النار، فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: ماله ماله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أرب ما له[1]، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم"[2].

وفي صحيح ابن خزيمة عن كدير الضبي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: تقول العدل، وتعطي الفضل، قال: يا رسول الله فإن لم أستطع؟ قال: فهل لك من إبل؟ قال: نعم قال: فاعهد إلى بعير من إبلك وسقاء فانظر إلى أهل بيت لا يشربون الماء إلا غبا فإنه لا يعطب بعيرك ولا ينخرق سقاؤك حتى تجب لك الجنة"[3].

وفي صحيح ابن حبان عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علّمني عملا يدخلني الجنة، قال: "لئن كنت أقصرت الخطبة فقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة. قال: أوليستا بواحدة؟ قال: لا عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم القاطع، فإن لم تطق ذاك فأطعم الجائع واسق الظمآن، ومر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير"[4].

---

(1) أرب ماله: أرب أي حاجة، و (ما) زائدة، ومعناه: له حاجة ما مفيدة.

(2) رواه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة (1396).

(3) رواه ابن خزيمة في صحيحه 145/2.

(4) رواه ابن حبان في صحيحه 57/2.

وفي سنن الترمذي وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقد أصاب الحر فتفرق القوم حتى نظرت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربهم مني، قال: فدنوت منه فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: "لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: وإن شئت أنبأتك بأبواب الجنة! قلت: أجل يا رسول الله. قال: الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله، قال: ثم قرأ هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (السجدة: 16) قال: وإن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قال: قلت: أجل يا رسول الله. قال: أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله، وإن شئت أنبأتك بملاك ذلك كله، فسكت فإذا راكبان يوضعان قبلنا، فخشيت أن يشغلاه عن حاجتي، قال: فقلت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فأهوى بإصبعه إلى فيه، قال: فقلت: يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما نقول بألسنتنا؟ قال: ثكلتك أمك ابن جبل! هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم"[1].

فجل اهتمام السلف كان فيما يقربهم إلى الله وإلى الجنة ويباعدهم عن النار.

(1) رواه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (2616) وابن ماجه في الفتن، باب كف اللصان في الفتنة (3973) والإمام أحمد في المسند 231/5.

والمجالات ولله الحمد كثيرة، وما سبق بيانه كله داخل في هذا الأصل، لكن أفردت ذكره ليشمل ما ذكر وما لم يذكر.

المنافسة ومرحلة الشباب

الشباب هم رجال الغد ورأس مال الأمة، وهم الأصل الذي يبنى عليه مستقبل الأمة، وهم العمود الفقري الذي لا يستقيم الجسم إلى به، والشباب أهم مرحلة من مراحل عمر الإنسان، ولا يعود الشباب إذا فات، لذا جاء الحث للشباب لاغتنام شبابهم في المساراعة إلى الخيرات قبل فوات الأوان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"[1].

وشباب الصحابة قد علموا أهمية هذه المرحلة من أعمارهم فاشتغلوا بما ينفعهم وينفع الأمة، فكان "فريق منهم يتعلمون العلم، ويتفقهون في الدين، ويجالسون العلماء والفقهاء ويزاحمونهم بالركب، ويحضرون حلق القرآن .. ومجالس الذكر، ودروس التفسير والحديث وغير ذلك، وما يزال هذا دأبهم حتى يصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان.

أما الفريق الآخر فقد كان يعدّ نفسه للجهاد، فكانوا يتدربون على ركوب الخيل والرما ية بالرماح والمقارعة بالسيوف، والكّر والفّر، والسباحة، والجري والسباق، وإنقاذ الجرحى وانتشال الجثث، والإمدادات والتموين للجيش وغير

(1) رواه الحاكم في المستدرك 341/4.

ذلك من أساليب الغزو والقتال جهادًا في سبيل الله.. فكان هذا دأبهم في استغلال أوقاتهم .. للذود عن عرين الإسلام"(1).

ولا شك أن الشباب مرحلة ذهبية من عمر الإنسان الذي يتمنى من تقدمت به السن أن تعود إليه هذه المرحلة، فيقول قائلهم:

ألا ليت الشباب يعود يومًا   فأخبره بما فعل المشيب

ولهذا يجب على الشاب أن يعلم أهمية هذا الزمن من مرحلته العمرية الغالية فيستغلها بما يعود عليه وعلى أسرته ومجتمعه ووطنه وأمته بالخير، والله سبحانه وتعالى قد أعطى كل شاب قدرات وإمكانات لم يعطها غيره، أو جعله يتفوق على غيره فيها، فمن التوفيق للشاب أن يكتشف قدراته ومواهبه التي منحه الله تعالى إياها فينميها ويستغلها، فإذا كان الله تعالى منحك الحفظ فسارع لحفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة ومتون العلوم والشعر المفيد والحكم والأمثال والقصص المفيد، وإذا كانت قدراتك تتوجه إلى حب القراءة والاطلاع فأكثر من القراءة في كل ما يفيدك من العلوم والفنون تفسيرًا وفقهًا وحديثًا وأدبًا وشعرًا وغيرها، وإذا كنت تميل إلى العمل (الآلي) فنمِّ قدراتك فيه فأنت اليوم قادر وغدًا غير مستطيع.

وإذا نظرنا إلى العبادات نجد أن الله سبحانه وتعالى نوعها وعددها صلاة وصياما وإنفاقا وبرا وإحسانا فانظر إلى ما تحب ممارسته فأكثر وداوم عليه حتى تنافس فيه، وهذا بلا شك سوى الفرائض الواجبة على كل شخص، إن من

(1) من كتاب "الوقت أغلى من الكنوز" ص142.

الغبن الفاحش أن يضيع المسلم شبابه في اللهو والعبث، والسهر هنا وهناك، وقد يكون على أشياء غير مفيدة، وقد تكون مكروهة أو محرمة، فتذهب تلك الطاقات سدى، وتتفرق هدرا فتكون وبالاً وهلاكاً على صاحبها.

المنافسة والفرص

إن الله عزوجل أعطى كل عبد من عباده كثيرا من الفرص في حياته لكي يستغلها في المسارعة إلى الخيرات، ولا يضيعها هدرا فيتأسف ويندم عن قريب، فمن الناس من يستغل هذه الفرص و يغتنمها ويشكر الله على التوفيق والسداد، ومنهم من لا قيمة عنده لهذه الفرص فيضيعها ولا يستغلها، ويسّوف ويؤخر، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها، فإذا جاء أجله ندم وتأسف على ما فرط وأضاع الفرصة ولات حين مندم.

ليعلم المسلم أن الفرص لا تعود إلا نادرًا فعليه أن يغتنمها فيما يعود عليه النفع في العاجل والآجل، وليعلم أن الشباب فرصة، والصحة فرصة، والغنى فرصة، والفراغ فرصة، والحياة فرصة، فمن لم يستخدمها فقد أضاع رأس ماله، وليعلم أن الشباب لن يعود بعد فواته، والصحة قد تعود ولكن مع الضعف، والغنى قد يعود وقد لا يعود، والفراغ قد يعود وقد لا يعود، وأما الحياة الدنيوية فلا عودة لها بعد الموت، فهذه الفرص كالسيف إن لم تستغلها بالمسارعة إلى الخيرات قتلتك بالأسف والندم على ما فرطت فيها، فأي فرصة وجدتها في حياتك للعمل الصالح فبادر إليه ولا تؤخره.

والسلف الصالح كانوا يعدون الفرص أغلى من الذهب، يقول الشاعر:

إذا فاتني يوم ولم أصطنع يدًا ولم أكتسب علًما فما ذاك من عمري

وفي حياة الإنسان تأتي فرص كثيرة، فعليه أن يغتنمها ويجعلها أجرا وذخرا في ميزان حسناته، ونرى حرص الصحابة والسلف الصالح على اغتنام الفرص كأشد

ما يحرص الإنسان على نفسه وماله وعرضه، وخير مثال على ذلك الخلفاء الراشدون، فقد أنفق أبوبكر رضي الله عنه كل ما لديه لتجهيز جيش العسرة، وعمر رضي الله عنه قد أتى بنصف ماله، وعثمان رضي الله عنه قد جهّز جيش العسرة، واشترى بئر رومة ووقفها على المسلمين، واشترى قطعة أرض لتوسيع المسجد النبوي، واقرأ هذا الحديث الجميل: فقد قال عثمان رضي الله عنه حينما حاصره أصحاب الفتن: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: "من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة" فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر. قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة" فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم[1]. فهذه كلها فرص اغتنمها عثمان رضي الله عنه فأصبح بذلك وبغيره من المبشرين بالجنة.

وانظر أبابكر رضي الله عنه كيف يبادر إلى فعل الخيرات ولا يضيع الفرص التي قد تأتينا يوميًّا ولا نبالي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم اليوم صائما؟" قال أبو بكر رضي الله

(1) رواه الترمذي في المناقب، باب في عد عثمان تسميته شهيدا، وتجهيزه جيش العسرة (3699) والنسائي في الجهاد، باب فضل من جهز غازيًا (3184) والإمام أحمد في مسنده 70/1.

عنه: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟" قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟" قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضا؟" قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمعن في أمرىء إلا دخل الجنة"(1).

وعندما تمنى أبو بكر رضي الله عنه أن يدعى من أبواب الجنة كلها لم يكن هذا التمني عن فراغ بدون عمل، ولكن كان رضي الله عنه من أهل المبادرة إلى الخيرات وممن يغتنم الفرص فلا يضيعها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة". فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم".

فالصديق رضي الله عنه إنما تمنى أن يكون ممن يدعى من جميع أبواب الجنة لأنه كان من أهل الصلاة والجهاد والصدقة والصيام.

وهذا علي رضي الله عنه في يوم خيبر قد سعد بإعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم الراية إياه، ولكن عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لأعطين هذه

(1) رواه مسلم في الزكاة، باب فضل من ضم على الصدقة غيرها من أنواع البر (1028).

الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" فبات الناس يدوكون [يتحدثون] ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: "أين علي بن أبي طالب؟"..[1].

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفًا يوم أحد فقال: "من يأخذ مني هذا؟" فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: "فمن يأخذه بحقه؟" قال: فأحجم القوم فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[2]. وإنما نال أبو دجانة هذه المرتبة بمبادرته إلى أخذ السيف بحقه وعدم تفويت الفرصة التي لا تعوض.

وكذلك الزبير بن العوام رضي الله عنه إنما نال مرتبة حواري الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بادر إلى تنفيذ ما طلبه الرسول صلى الله عليه وسلم واغتنم الفرصة التي قد لا تعود، فعن ابن المنكدر قال: سمعت جابرا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "من يأتينا بخبر القوم؟" فقال الزبير: أنا، ثم قال: "من يأتينا بخبر القوم؟" فقال الزبير: أنا، ثم قال: "من يأتينا بخبر القوم؟" فقال الزبير: أنا، ثم قال: "إن لكل نبي حواريا وإن حواري الزبير"[3].

بل من الصحابة من كان يتأسف على فوات الفرصة لعمل الخير كما يتأسف بعضنا على فوات الفرصة الدنيوية، وكان يتحرى الفرص حتى يفوز بالجنة وينجو

(1) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (2406).
(2) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه (2470).
(3) رواه البخاري في المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (4113).

من النار، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [الأحزاب: 23].

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال عمي أنس بن النضر - سميت به- لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكبر عليه فقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من العام القابل، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو أين؟ قال: واها لريح الجنة أجدها دون أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت عمتي الربيع بنت النضر، فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [الأحزاب: 23].

كان يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي".

وورد في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله

عليه وسلم فقال: القني به، فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قال: كل يوم، قال: وكيف تختم؟ قال: كل ليلة، قال: صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: أفطر يومين وصم يومًا، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم أفضل الصوم صوم داود؛ صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة. فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذاك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه(1).

هكذا كان حرص الصحابة رضي الله عنهم في اغتنام الفرص، وخاصة اغتنام مرحلة الشباب، ولكن ينبغي عدم الغلو في أي عمل، وذلك بأن يكون معتدلاً في كل شيء، وأن لا يكون على حساب حقوق الأهل والأولاد والأقارب والأحباب، فإن لكلِّ أحدٍ حقه ينبغي أداؤه كما في الحديث السابق ذكره.

عن ابن عباس قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: وا عجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على

(1) رواه البخاري في فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن (5052).

المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني[1].

وقال ابن الجوزي في المدهش: "الأيام صحائف الأعمال، فخلّدوها بأحسن الأعمال، الفرص تمّر مّر السحاب، والتواني من أخلاق الخوالف، من استوطأ مركب العجز عثر به... تزّوج التواني الكسل فولد بينهما الخسران"[2].

ومن عجيب انتهاز الفرص ما حكى الخطيب البغدادي عن أبي العباس المبرد قال: ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ عمرو بن بحر إمام أهل الأدب، والفتح خاقان الأديب الشاعر ووزير الخليفة المتوكل العباسي، الذي اجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن، وإسماعيل بن إسحاق القاضي الإمام الفقيه الملكي البغدادي.

فأما الجاحظ: فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أي كتاب كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر في الكتب.

وأما الفتح بن خاقان: فإنه كان يحمل الكتاب في كُمه أو في خفه، فإذا قام من بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده.. ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه!!

(1) سنن الدارمي، المقدمة، باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه (570).

(2) المدهش لابن الجوزي ص 382.

فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة، أخرج الكتاب من كمه أو خفه، وقرأه في مجلس المتوكل إلىحين عودته!!

وأما إسماعيل بن إسحاق القاضي، فإني ما دخلت عليه قط إلا رأيته وفي يده كتاب ينظر فيه، أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه [1].

وكان الشافعي رحمه الله يجعل ليلته ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب فيه، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام[2]، رحم الله الشافعي.

وكان ياقوت الحموي تاجًرا، يشتغل في البلاد، ويتنقل في الأقطار، ويطوف بالمدن والأمصار، غير أنه لم يرض لنفسه أن يهدر وقته، ويضيع الفرص التي أتيحت له أثناء تجواله وتطوافه، فقد أخذ يدّون كا ما شاهده من الأماكن ويصف أخلاق ساكنيها وأحوالهم،حتى جمع كتابه المشهور: معجم البلدان، فكان أعظم كتاب في علم تخطيط البلدان وأخلاق الشعوب وجغرافية المدن.

(1) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص 139.

(2) صفة الصفوة لابن الجوزي 255/2.

تسخير الوظائف والأعمال العادية لعمل الخير

من محاسن الدين الإسلامي أن العبد المسلم يمكن له أن يسخر الوظائف والأعمال العادية لعمل الخير، ولك بتصحيح النية والاحتساب، فمن الناس من يجعل العبادات والأعمال الخيرية عادات وتقاليد فلا يستشعر ما يقوم به من أجل الأعمال، ولا يتذكر ما كتب الله من الأجر على هذه الأعمال الحسنة فتصير عادة، وفي مقابل هؤلاء منهم من يسخر الوظائف والأعمال العادية لعمل الخير فيؤجر عليها، ويستشعر أهمية تصحيح النية، ويتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.." [1].

فالتاجر الذي يستشعر فضيلة كون البائع سمحًا في البيع سمحًا في الشراء سمحًا في استرجاع الديون، والعامل الذي يؤدي عمله كما ينبغي ولا يخدع صاحبه، بل الذي يسعى لكسب دراهم ليطعم ويكسو بها عياله ويحتسب ذلك عند الله، كل

(1) رواه البخاري في بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) ومسلم في الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنية، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (1907).

واحد من هؤلاء يؤجر ويثاب عند الله ما لا يثاب قائم الليل وصائم النهار إذا جعل هذه الأعمال عادة، أو فخرا ورياء.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد عدّ أعمالا قد تكون في عيون بعض الناس حقيرة ولكنها جليلة الأجر عند الله لأن صاحبها ابتغى بذلك مرضات الله سبحانه ولم يعملها فخرًا ورياء، ومن ذلك:

"رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"[(1)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال: لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه"[(2)].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله وجهاد في سبيله" قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: "أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها" قلت: فإن لم أفعل؟ قال: "تعين صانعا أو تصنع لأخرق" قال: فإن لم أفعل؟ قال: "تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك"[(3)].

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال

---

(1) رواه البخاري في البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف (2076).

(2) رواه البخاري في البيوع، باب من أنظر معسًرا (2078).

(3) رواه البخاري في العتق، باب أي الرقاب أفضل؟ (2518) ومسلم في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (84).

لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة"[(1)].

وعنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول لله ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة" قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا"[(2)].

وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك"[(3)].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله

---

(1) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف (1956).

(2) رواه مسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (1006).

(3) رواه البخاري في الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة (56).

له فغفر له". قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: "في كل كبد رطبة أجر"[1].

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها"[2].

هذه بعض الأعمال والوظائف العادية التي قد يحتقرها بعض الناس فلا يحتسبها عند الله مع أن فيها أجًرا عظيًما، وقد يكون ثمنها الجنة، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إلى بيت خباب بن الأرب عند غيابه ليحلب شاة لهم.

والمسلم وهو يعيش يومه وليلته، ويعمل فيهما أعمالاً متنوعة، فمن الخير أن يجدد نيته فيها ويسخرها لطاعة الله تعالى والاستعانة بها على أعمال الخير فمثلاً:

- وظيفته التي يعملها ينوي فيها كف نفسه عن المسألة، ورزقه ورزق أسرته، ومن ثم فلا يبخسها حقها، ولا يكذب أو يغش أو يدلس أو يؤخر عملاً حقه التقديم ونحو ذلك.
- جلوسه مع أهله وأسرته ينوي فيه إدخال السرور عليهم، وتربيتهم وإفادتهم
- أكله وشربه ونومه يتعامل فيها بما أحل الله تعالى فيذكر الله تعالى في البداية والنهاية ويستعين بها على الطاعة.
- فضلاً عن صلاته وقراءته وطلبه للعلم وذكره لله تعالى وصيامه وغيرها من العبادات.

---

(1) رواه البخاري في المساقاة، باب فضل سقي الماء (2363) ومسلم في السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (2244).

(2) رواه مسلم في السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (2245).

هنيكون يوم المسلم وليلته أجرًا وثوابًا، وقد استغل هذا المسلم الحصيف كل فرصة ونافس غيره فيها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

عوائق دون المسارعة إلى الخيرات

لا شك أن الإنسان في مسيرته في هذه الحياة وهو متجه إلى الله والدار الآخرة تمر به عقبات وعوائق تعيق مسيرته، وهذه العوائق إما أن تكون قدرية كالمرض والسفر فهذه يتعامل معها التعامل الشرعي فتكون خيرا له دنيا وأخرى، وإما أن تكون عوائق من نفسه ومن الشيطان فعليه أن يعالجها قبل أن تكبر وتستفحل فتكون العاقبة وخيمة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض هذه العوائق فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا"[1].

قال النووي في شرح الحديث السابق: "مَعْنَى الْحَدِيث: الْحَثّ عَلَى الْمُبَادَرَة إِلَى الْأَعْمَال الصَّالِحَة قَبْل تَعَذُّرهَا وَالِاشْتِغَال عَنْهَا بِمَا يَحْدُث مِنْ الْفِتَن الشَّاغِلَة الْمُتَكَاثِرَة الْمُتَرَاكِمَة كَتَرَاكُمِ ظَلَام اللَّيْل الْمُظْلِم لَا الْمُقْمِر. وَوَصَفَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْعًا مِنْ شَدَائِد تِلْكَ الْفِتَن, وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِح كَافِرًا أَوْ عَكْسه. شَكَّ الرَّاوِي، وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَن يَنْقَلِب الْإِنْسَان فِي الْيَوْم الْوَاحِد هَذَا الِانْقِلَاب. وَاَللَّه أَعْلَم.

(1) رواه مسلم في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال (118).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنًى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر"(1).

قال المباركفوري في شرح هذا الحديث: قَوْلُهُ: (قَالَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا) أَيْ سَابِقُوا وُقُوعَ الْفِتَنِ بِالِاشْتِغَالِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاهْتَمُّوا بِهَا قَبْلَ حُلُولِهَا (هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ) ... قَالَ الْقَارِي: خَرَجَ مَخْرَجَ التَّوْبِيخِ عَلَى تَقْصِيرِ الْمُكَلَّفِينَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ أَيْ مَتَى تَعْمَلُونَ فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوهُ مَعَ قِلَّةِ الشَّوَاغِلِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ فَكَيْفَ تَعْمَلُونَ مَعَ كَثْرَةِ الشَّوَاغِلِ وَضَعْفِ الْقُوَى؟ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ مَا يَنْتَظِرُ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا انْتَهَى. وَالْقَصْدُ الْحَثُّ عَلَى الْبِدَارِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ, وَأُخِذَ مِنْهُ نَدْبُ تَعْجِيلِ الْحَجِّ.

ونذكر بعض هذه العوائق دون المسارعة إلى الخيرات بشيء من التفصيل:

- **طول الأمل،** فمن الناس من يأمل البقاء إلى زمان الهرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، فيؤخر العمل ويؤخر التوبة إلى الله والرجوع إليه، فروي عن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغت ثلاثين ومائة سنة، وما من شيء إلا قد عرفت فيه النقصان إلا أملي فإنه كما هو(2).

عن عبد الله بن عكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل قال أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو له أهل

(1) رواه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل (2306).

(2) مختصر منهاج القاصدين ص415.

وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضي عجائبه فاستضيئوا بنوره وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم الظلمة فإنه إنما خلقكم لعبادته ووكل بكم [كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون] ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى سوء أعمالكم فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم فالوحا الوحا ثم النجا النجا(1).

والإنسان كثيرا ما يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب، أو لا يتفكر المسكين في أن كبار السن في بلده لو عدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخ قد يموت ألف صبي وشاب، وقد يغتر بصحته، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة، وإن استبعد ذلك فإن المرض يأتي فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص، من صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار، ولا هو مقيد بسن مخصوص من شاب وشيخ أو كهل أو غيره لعظم ذلك عنده واستعد للموت(2).

---

(1) المستدرك على الصحيحين 415/2.

(2) مختصر منهاج القاصدين ص 414 .

وعليه فمن المفيد ألا ينساق المسلم مع الآمال وينسى المستقبل العظيم فيستغل وقته وجهده وماله في طاعة المولى، ويسارع في ذلك قبل فوات الأوان.

- **ومن العوائق حب الدنيا:** فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه التقدم في أعمال الخير، وقد حذّر الله سبحانه من التعلق بالحياة الدنيا وزخارفها فقال﴿ المال وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف:46]

وقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ (آل عمران: 14-17) .

ولا يعني هذا أن الإنسان يترك الدنيا كلها ويبقى عالة على غيره في كل شيء، ولكن يتعامل التعامل الشرعي على حد قوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) [القصص: 77].

- **ومن العوائق الجهل،** فإن الإنسان لو علم علم اليقين أن مسارعته إلى الخيرات لا تذهب سدًى، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى لا يتصور أنه يتخلف عن أي فرصة وجدها في الإقبال على الله بالأعمال الصالحة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن من يتأخر عن الحضور في الصلاة، أو لا يحرص على الصف الأول، ومن نومه أحب إليه من صلاتي العشاء والفجر إنما يفعل ذلك لعدم العلم بما في التنافس من أجر عظيم وثواب جزيل عند الله عزوجل، قال صلى الله عليه وسلم: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا"(1). وهكذا في جميع الأعمال الصالحة، إذا جهل الإنسان ثوابها وأجرها عند الله تكاسل عنها، أو لم يقم بأدائها كما ينبغي. وإذا جهل الإنسان شيئا فعليه أن يسأل ولا يتردد، فرب معرفة مسألة تقود إلى الجنة، والجهل بها يقود إلى النار.
- **ومن العوائق التسويف،** فإن بعض الناس إذا خطر في بالهم فعل بعض الخيرات قتلها بسيف التسويف وقال لنفسه: الأيام بين يديك إلى أن تكبر، وإذا كبر قال: إلى أن تصير شيخا، وإن صار شيخا قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذا العقار، فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يقدم على الأعمال

(1) رواه البخاري في الأذان، باب الاستهام في الأذان (615) ومسلم في الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم إولي الفضل وتقريبهم من الإمام (437).

الصالحة حتى يأتيه الأجل من حيث لا يحتسب، وأكثر صياح أهل النار من "سوف" يقولون: واحسرتاه من "سوف". وقد قيل: لا تؤخر عمل اليوم إلى غد، وذلك لأن غدًا مليء بالأعمال فتتراكم الأعمال وتتزاحم فلا يستطيع المرء أن ينهيها.

- **ومن العوائق**: **أصدقاء السوء**: إن الأصدقاء لهم أثر نافذ في سلوك الإنسان إيجابًا أو سلبًا، فإن كانوا صالحين فأثرهم أثر طيب، وأما إن كانوا رفقة السوء فهم يحثونه على المنكرات وسوء الأخلاق، فمن كان أصدقاؤه أصدقاء سوء يعوقونه عن السعي في المعروف والمسارعة إلى الخيرات حينما ينشطون في جّره إلى الهاوية. وقد قال الله تعالى عن هؤلاء: (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) [الفرقان:27-29]، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فانظر إلى صديقك فأنت هو، والعاقل من يتخذ صديقًا معينًا له على كل خيرمجنبًا له كل شر، فإذا ذكر أعانه، وإذا نسي ذكّره، وإذا غاب سأل عنه، وإذا أسر إليه حفظ سره، وإذا اطلع على عيب ستره عليه، وإذا رآه على فعل خير شجعه ودعا له، فهل نظر المسلم إلى من يصاحبهم بهذا المنظار، أما صديق السوء فيكفي أنه يعوق مسيرة الخير ويؤخرها ويقطع فضلها وأثرها.
- **ومن العوائق**: **ضعف الهمة وطلب الدون والنزول في الأعمال الصالحة**: ولا شك أن هذه الأمور من المصائب والبلايا، فضعف الهمة والرضى بالدون والتراجع في الأعمال الصالحة والتكاسل فيها مما يحرم العبد المطالب العالية،

يقول ابن الجوزي رحمه الله: البلايا على مقادير الرجال، فكثير من الناس تراهم ساكنين راضين بما عندهم من دين ودنيا، وأولئك قوم لم يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة، أو عُلم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلُطف بهم. ولله در القائل: من طلب العلا سهر الليالي..

وواقع كثير من الناس بهذه المثابة أن هممهم ضعيفة تجاه الخير، فتقرأ عبارات، وتسمع أخرى، وترى أفعالاً تدل كلها على ضعف الهمة مثل: يكفي أن أقوم بالفرائض، غيري يعمل محرمات كبار، عندما أكبر أبدأ أصلي النوافل، الزمن فسد...الخ، وترى كبارًا في السن وشبابًا أقوياء يتأخرون عن الصلاة، وقد يؤخرونها عن وقتها، ويحرصون على المال أشد حرصًا من أي شيء آخر، كما ترى طلاب علم حملوا علمًا نافعًا ولكنهم ضعفت هممهم عن تأدية زكاته من تعليمه ونشره، ونصح الناس ودعوتهم... إلى غير ذلك من الصور التي تدل على ضعف الهمة، فقادتهم إلى مؤخرة الركب فضاع عمرهم سدًى.

حوافز المسارعة إلى الخيرات

أولاً: العلم واليقين بما أعد الله سبحانه وتعالى للمسارعين إلى الخيرات وما ادخر لهم من ثواب وأجر وما يرفع لهم من الدرجات في روضات الجنات، قال ابن سعدي رحمه الله أثناء شرحه لسورة البقرة الآية: (148): ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب، قال: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته فيجازي كل عامل بعمله ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم: 31].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات: 60، 61]: فلما ذكر تعالى نعيم الجنة ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة مدحه وشّوق العاملين وحثّهم على العمل له فقال: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ الذي حصل لهم به كل خير، وكل ما تهوى النفوس وتشتهي، واندفع عنهم كل محذور ومكروه، فهل فوز يطلب فوقه؟ أم هو غاية الغايات ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه وتنعموا بمعرفته وسروا برؤيته وطربوا لكلامه؟ ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس.

والحسرة كل الحسرة أن يمضي على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشتغل بالعمل الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟.

ثانيًا: معرفة حقيقة الحياة الدنيا،فإن من عرف حقيقتها لم يجر وراءها لاهثًا، بل يبذل كل الطاقات والجهود فيما يقربه إلى المعبود، ويسعى في الأعمال الصالحة سعيًا حثيثًا عسى أن تنفعه في الآخرة، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا وما فيها من زينة وزخرفة بقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: 20]

قال ابن سعدي رحمه الله: يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها بأنها لعب ولهو تلعب بها الابدان وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات عمرهم بلهو قلوبهم، وغفلتهم عن ذكر الله، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، تراهم قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد شغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله من النفع القاصر والمتعدي .. ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ ﴾ أي كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقومه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها فجعلها معبرًا ولم يجعلها مستقرًا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله على دار كرامته، وإذا رأى من يكاثره وينافسه في الأموال والأولاد نافسه بالأعمال الصالحة..

ثالثًا: معرفة حقيقة الموت وأنه يأتي فجأة: وقد أخفى الله سبحانه مواعيد آجال العباد لكي يكونوا في استعداد تام في كل حين للقاء ربهم، ولا يكون ذلك إلا بالمسارعة في أداء ما افترض الله عليهم؛ فإنه لا تدري نفس بأي أرض تموت ولا في أي لحظة تأتيها المنية. لذا قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: 10، 11].

قال ابن سعدي في تفسير الآيتين المذكورتين: فليشكروا الذي أعطاهم بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك الموت الذي إذا جاء لم يمكّن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير ولهذا قال: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ ﴾ متحسرًا على ما فّرط في وقت الإمكان، سائلاً الرجعة التي هي محال: ﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أي لأتدارك ما فّرطت فيه، ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ من مالي ما به أنجو من العذاب وأستحق جزيل الثواب، ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ بأداء المأمورات كلها، واجتناب المنهيات، ويدخل في هذا الحج وغيره، وهذا السؤال والتمني قد فات وقته ولا يمكن تداركه، ولهذا قال: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ ﴾ المحتوم لها ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾. فإذا أدرك العبد حقيقة الدنيا وحقيقة الموت سارع إلى عمل ما ينفعه فيما بعدهما، فما الدنيا إلا مزرعة الآخرة،

فمن جد وجد ومن زرع حصد.

رابعًا: قراءة القرآن والتأمل فيه: إن أعظم ما يقود العبد إلى ما ينفعه دنيا وأخرى كتاب الله تعالى، وتدبر معانيه يجعل العبد يسارع إلى الخيرات، ويحكي القرآن أن أهل الكتاب ومنهم اليهود الذين قد قست قلوبهم فصارت أقسى من الحجارة إذا وفقوا لتلاوة القرآن بدأوا يسارعون إلى الخيرات يقول تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران: 113، 114]، وذلك عندما يقرأ العبد القرآن يلين قلبه ويبادر إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة. ففيه علم وفقه، وأخبار وقصص، ودروس وعبر، فالعاقل من يدرك ذلك فيجعل له نصيبًا يوميًا من هذا الكتاب العظيم ليسارع إلى الخيرات فيدخل في زمرة المتسابقين إلى الصالحات.

خامسًا: قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسير السلف من العلماء وغيرهم: وذلك من قرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة وجد في نفسه تقصيرا وتفريطًا، فيتحمس ليتدارك ما فاته من الخير الكثير، ومن قرأ في سير أعلام النبلاء مثلا وجد نفسه تريد أن تتحرك إلى المعالي وتقدم على أعمال الخير وتتنافس فيها وتصير مثل هؤلاء الأعلام أو قريبًا منهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

سادسًا: برمجة الوقت والسير على نظام يومي: من الناس من يحب أن يقوم

بأعمال جليلة ولكن لا يبرمج وقته، فلا تتعدى أمنيته إلى العمل فيظل واقفًا على الطريق، وتفوته الفرصة لعدم برمجة وقته. والعاقل هو الذي يضع لنفسه أهدافًا عليا ويبرمجها حتى يصل إلى تلك الأهداف العالية الغالية، فيكتب من المتنافسين المتسابقين إلى الخيرات.

سابعًا: معرفة دوران حال المؤمن بين الشكر والصبر: المؤمن هو الذي لا يخلو حاله من الشكر أو الصبر، وفي كل خير، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حال المؤمن: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[1]. فمن كان هذا حاله مازال مقبلا على الطاعات في العسر وفي اليسر وفي المنشط والمكره، ولا يفرح إن أصابته السراء فرح الطغاة، ولا ييأس إن أصابته ضراء يأس من لا حيلة له تجاهها.

ثامنًا: استشعار الإخلاص في جميع الأعمال: إن استشعار الإخلاص في عمل العبد يقوي عزمه على الاستمرار في هذا العمل الصالح، أما الذي لا يستشعر الإخلاص ولا يرجو به الثواب لا تقوى همته على المنافسة في الخير.

تاسعًا: الجلساء والأصدقاء: كما أسلفنا إن للجلساء والأصدقاء أثرا نافذا في سلوك الإنسان وأخلاقياته وأعماله، فإن كان أصدقاؤه وجلساؤه من المسارعين إلى

---

(1) رواه مسلم في الزهد، باب المؤمن أمره كله خير (2999). وانظر ما كتبته حول هذا الحديث في كتاب (حديث عجبًا لأمر المؤمن.. دراسة حديثية نفسية).

الخيرات والمنافسين فيها فإن المرء يكون كذلك، والعكس بالعكس، لذا قال صلى الله عليه وسلم: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[1].

آثار المنافسة

(1) رواه ابو داود في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (4833) والترمذي في الزهد، باب حديث الرجل على دين خليله.. (2378) والإمام أحمد في المسند 303/2.

إن من يسلك سبيل المتنافسين في جميع أعماله وأحواله سيجد لذلك آثارًا عظمية منها:

- الاطمئنان القلبي في الدنيا والآخرة، فإن الإنسان بمنافسته في الأعمال الصالحة يحصل على الطمأنينة والراحة القلبية، فقد قال تعالى: (من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة) [النحل: 97].
- زيادة الحسنات، إنما يزداد أي عمل ويكثر إنتاجه ويحصل على الجودة والإتقان بالمنافسة والمسابقة، والحسنات كذلك لا تزداد إلا بالمنافسة فيها.
- الوصول إلى الدرجات العلى، فقد قيل: من طلب العلا سهر الليالي، والدين الإسلامي دين جد وجهد، فقد فاز بالدرجات العلا من دخل في السباق في الخيرات.
- تكفير السيئات، عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[1].
- زيادة الإنتاج، إن الناس أفرادًا وجماعات إنما يحصلون على الرقي والازدهار وزيادة الإنتاج بالتسابق والتنافس وليس بالتكاسل والتقاعد.
- شفاء الأمراض، فإن العبد كلما كان منافسًا تكثر حركاته ويزيد تفكيره فيما يفيده في الدنيا والآخرة، ومن كان كذلك لا يقربه مرض إلا ماشاء الله، وبيت الأمراض التكاسل والتواني.

---

(1) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (1987) والإمام أحمد في مسند الأنصار، 20847.

(رمضان) ميدان تنافس الصالحين- صورة تطبيقية

إن شهر رمضان شهر البركات والخيرات، وشهر النفحات والهبات، والنفس المؤمنة تستقبل هذا الشهر بفرح وسرور لما فيه من صيام وقيام واستغفار وعبادات

وطاعات، والمطلوب من المسلم أن يضاعف طاعاته في هذا الشهر لينافس الصالحين ويندرج تحت زمرة المتقين، ويفوز مع الفائزين، ففي صحيح ابن خزيمة عن سلمان قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: " أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كانكمن أدى فريضةً فيما سواه، ومن أدى فيه فريضةً كان كمن أدى سبعين فريضةً فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء" قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم؟ فقال: "يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال؛ خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لاغنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة"(1).

فحري بالعبد المسلم أن يغتنم شهر رمضان لتزداد حسناته في سجله، ويجتنب كل الاجتناب ما يفسد صيامه وقيامه.

---

(1) رواه ابن خزيمة في صحيحه 191/3.

وهنا ونحن نتحدث عن المنافسة في الخير، فنعرض لصورة التنافس الواقعية في شهر رمضان لكونه أعظم المواسم ومن أفسح الميادين للمسابقة والمنافسة، فما هي الأعمال التي ينافس فيها ليكون مع السابقين؟

أذكر شيئا من الأعمال التي هي كل التنافس، على سبيل المثال:

- المسارعة إلى التوبة والاستغفار بعد الإقلاع عن كافة الذنوب كبيرة كانت أم صغيرة. واستمرار الاستغفار ليلاً ونهاًرا سراً وجهاًرا.
- تجديد النظر إلى الفرائض التي افترضها الله سبحانه وتعالى على العبد، وأخذ العهد على النفس على المواظبة عليها.
- الحرص على الصلوات المكتوبة جماعة في المسجد، والحرص على التكبيرة الأولى والصف الأول، والتبكير إلى المسجد؛ فللصلاة مكانتها الخاصة التي لا تخفى على المسلم الحصيف العامل وتعاهد نفسه على ذلك.
- الحرص على الصيام بجميع واجباته وآدابه ومستحباته، ومنها:
  - ❖ استشعار أهمية الصيام والهدف منه وأنه يوصل إلى التقوى.
  - ❖ ضبط مواعيد الفطور والسحور واتباع السنة فيها.
  - ❖ تجنب المحرمات كلها ومنها الغيبة والنميمة والكذب
  - ❖ صيانة الجوارح من الموبقات.
- الحرص على الإكثار من تلاوة كتاب الله عزوجل، وذلك بأن يكون له حزب يومي من القرآن الكريم حفظًا وتلاوةً.
- أن يخصص وقتاً ما كل يوم لتدبر القرآن وفهم معانيه ومطالبه.

- الحرص على صلا ة التراويح جماعة ولا ينصرف إلا بعد انصراف الإمام.
- المشاركة في تفطير الصائمين كل يوم بقدر ما يستطيع، وكلما أكثر من ذلك كان أولى وأكثر أجًرا.
- الحرص والمسارعة في رعاية أهل بيته زوجة وأولاًدا لاغتنام هذا الشهر ليكون له أجرهم، وأن ينظم لهم برنامجًا يوضحه لهم ليلتزموا فيه كما يصنع لنفسه.
- المسارعة في العفو والإحسان تجاه الأقارب والجيران والأصدقاء وعامة المسلمين، وأن يبدأ حياة جديدة معهم بالصلة والرحمة والمودة، وأقلها: الدعاء لهم، وصلتهم بالهاتف.
- أن يعمل برنامجًا مع الوالدين ليزيد من بره لهما زيارة، وهدية، وعطية، ودعاءً، وقياًما بحاجاتهما، وذلك يوميًا.
- شهر رمضان شهر الجهاد وشهر الانتصارات الفاصلة، ففيه وقعت واقعة بدر، وفيه تم فتح مكة، فعلى العبد المسلم في هذا الشهر الكريم أن يقوم بكل عمل يستطيعه لينصر به دين الله ويعلي كلمته؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصحية، وإهداء الكتاب، والشريط النافع، والمطوية والمحاضرة، والدرس، وغير ذلك.
- أن يقوم بعمرة في شهر رمضان لأنها تعدل حجة.
- أن يقوم بمواساة الفقراء والمساكين ومساعدتهم بالمال والطعام والشراب والملابس وأن يشارك في نفع الخير، وأن يخصص شيئًا من ماله لذلك، فإن لم يكن لديه شيء من المال فيعين بجهده وبدنه وبلسانه.

- أن يعتكف في العشر الأواخر إن تيسر، والأفضل في الحرم المكي أو الحرم النبوي إن تيسر، فإن لم تكن العشر جميعها فبعضها، ويستغل اعتكافه بالقراءة والصلاة، والذكر والدعاء، والتأمل والمحاسبة.
- أن يحرص على تحري ليلة القدر في العشر الأواخر، فيحيي الليل بالصلاة والتلاوة وذكر الله والدعاء.
- أن يلتزم الأذكار المقيدة ويحرص عليها، وأن يجعل له نصيبًا من الأذكار المطلقة.
- أن يقلل من الارتباطات التي لا داعي لها ليستغل وقته.
- أن يحرص على الدعاء لنفسه ووالديه وأسرته وأقاربه والمسلمين أجمعين، وبخاصة عند الإفطار وفي السحر، وبين الأذان والإقامة وفي الصلوات، ولا يمل، ويلح على الله سبحانه بحاجاته الأخروية ولا مانع من طلب الأمور الدنيوية.
- أن يخصص وقتًا لحفظ شيء من القرآن ومراجعته، وحفظ شيء من السنة كل بحسبه.
- أن يدخل الفرح على أولاده وإخوانه وجيرانه وأقاربه وأصدقائه وعامة المسلمين بما يستطيع.
- أن يجمع صدقات الفطر قبل العيد بوقت كاف ويوزعها على المحتاجين.
- أن يزور مريضًا له حق الزيارة، ويشيع جنازةً.

هذه أمثلة سريعة للمنافسة في هذا الشهر المبارك، فعلى الموفقين الصادقين أن

ينافسوا فيها وفي غيرها، **ومما يعين على ذلك:**

1) الإخلاص والتجرد، وسؤال الله ذلك باستمرار، وقد قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: 5] وقال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) [الزمر: 2].

2) برمجة اليوم الليلة: فيقسم وقته في اليوم والليلة كل بحسبه فمثلاً :

أ- إذا كان موظفًا

- فيستيقظ لسحوره، فيتوضأ ويصلي ركعتين أو أكثر ثم يتناول سحوره، فيصلي الفجر ويذكر الله بعده أذكار الصباح ثم يقرا ما تيسر حتى تطلع الشمس فيصلي ما شاء الله.
- يرتاح، ثم يستيقظ لعمله.
- يؤدي عمله بناشط وحيوية.
- يخصص وقتًا للقراءة والأذكار بعد العصر ثم الدعاء، أو ممارسة بعض الأعمال الخيرية، وزيارة الأرحام، أو الأعمال العائلية.
- وعند الإفطار الدعاء.

-وبعد صلاة التراويح يخصص جزءًا من الوقت لبعض الأعمال الخيرية ونحوها.

- ثم النوم إلى وقت السحر.

ب-وإذا كان طالبًا: فلا يختلف عماسبق إلا بمراجعة دروسه وعلمه بعد العصر أو بعد العشاء.

جـ - أما إذا كانت امرأة فلا تختلف عما سبق إلا بملازمة بيتها واستغلال وقتها مع أبنائها وبناتها. وهكذا..

هذا مجرد مثال، وكل ينظم بحسب ما يرتاح إليه.

3)أن يبرمج أعماله، فمثلاً القرآن بعد الفجر وبعد العصر، الزيارات العائلية وبعد العشاء، الأعمال الخيرية بعد العصر، وهكذا حتى لا يطغى عمل علىآخر..

4) برمجة المال، وهذا أيضًا يبرمج بحسب كل شخص، فيخصص: للعائلة كذا، والزكاة كذا، والصدقات والتبرعات كذا، وتفطيرالصائمين بكذا، كل بحسبه.

5) الدعاء بالإعانة والتوفيق والتسديد.

6) إعطاء كل ذي حق حقه، فلا تهمل امورًا على حساب أمور اخرى، فلا تركز على الجانب الشخصي وتهمل الجانب الأسري، وهكذا.

7) التعاون مع الآخرين ليشجعوك من الأهل والأولاد والأصدقاء والهيئات الدعوية والإغاثية ونحوها، كل بحسبه.

الخاتمة

الحمد لله الواحد القهار، الذي بيده ملكوت كل شيء، وبه التوفيق وعليه التكلان، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للإنس والجان، الداعي إلى المسارعة إلى الخيرات، وطلب الرضوان والجنان، ورضي الله عن الصحابة أهل الفضل والامتنان، والتابعين لهم بإحسان، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد حث المسلمين على المبادرة إلى الخيرات والتسابق إليها بأساليب شتى، فقال: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض

أعدت للمتقين) [آل عمران: 133] وقال: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [الحديد: 21] وقال: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) [المطففين: 26] وقال: (لمثل هذا فليتنافس المتنافسون) [الصافات: 61] وقال: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) [آل عمران: 115] وقال: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) [فاطر: 32] وقال: (والسابقون السابقون أولئك المقربون) [الواقعة: 10، 11] وقال: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) [الحديد: 10].

فالفضل كل الفضل والدرجات العلا في الدنيا والأخرى ورضوان من الله لمن سارع إلى الخيرات وسابق إلى الصالحات وفاز بأعلى الجنات عند رب الأرض والسماوات.

فعلى المسلم أن يبادر إلى ما يوصله إلى هذه الدرجات قبل أن تعوقه معوقات من الشواغل والمرض والهرم والفقر وهاذم اللذات، وقبل أن تشغله فتن كقطع الليل المظلم، وقبل أن يغلق باب التوبات بطلوع الشمس من مغربها، يقول تعالى: (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لو لا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) [المنافقون:10،11].

ولا بد للمسلم أن يحرص على ما يسّهل عليه المسارعة إلى الخيرات من العلم الصحيح، والإخلاص، وقراءة القرآن بتدبر معانيه، والاطلاع على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة والصالحين، وبرمجة الوقت وغير ذلك من الوسائل، كما سبق بيان ذلك في هذه الكلمات الموجزة.

أسأل الله عزوجل أن يوفقنا بفضله ومنّه لما يحب ويرضى ويجعل آخرتنا خيراً من الأولى، ويجعلنا من المسارعين إلى الخيرات ويحشرنا مع المتقين الأبرار، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله صحبه أجمعين.

كتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغير

ص.ب 41961 الرياض- 11531

البريد الإلكتروني: falehmalsgair@yahoo.com